المحور: التعليم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني

المحاضرة– مستويات ووسائل التعليم

كان التعليم في الجزائر العثمانية على ثلاثة مستويات، الابتدائي والثانوي والعالي، فبالنسبة للتعليم الابتدائي، كان كل طفل بين السادسة والعاشرة يذهب إلى المدرسة، أما الإناث فلا يذهبن إلى المدارس إلا نادرا، ولكن أصحاب البيوت الكبيرة كانوا يجلبون أستاذا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات، وفي كل قرية صغيرة (دوار)، كانت هناك خيمة تدعى الشريعة، خاصة بتعليم الأطفال ويشرف عليها مؤدب يختاره سكان القرية لهذا الغرض، أما في المدن والقرى الكبيرة، فقد كانت هناك مدارس تدعى (مسيد) أو مكتب، وكانت غالبا ملحقة بالوقف، وإلى جانب ذلك كان كل جامع تقريبا يضم مدرسة للتعليم أيضا[1].

كان لكل مؤدب أجرة خاصة ولكنها كانت غير قارة، فهي تختلف حسب حالة أولياء التلاميذ المادية، وكانت كل أسرة تدفع على قدر حالها، وفي الأعياد وعندما يحفظ الطفل القرآن، يأخذ المؤدب أجرا إضافيا، كما أن المؤدب كان محل احترام سواء كان في القرية أو المدينة، وتذكر بعض الصادر أن أحد المؤدبين في قسنطينة كان يتقاضى حوالي 30 فرنكا سنويا على الطفل الواحد من الهدايا والتعويض عند حفظ القرآن الكريم، ولم تكن هناك رقابة رسمية على المؤدب، ولكن أولياء التلاميذ يستطيعون عزله إذا أرادوا، وكان يكفي في المؤدب أن يعرف جيدا القراءة والكتابة[2].

ومدة التعليم الابتدائي حوالي أربع سنوات، يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن وأركان الإسلام وشعائر الدين، ويستطيع التلميذ أن يواصل

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال** ، ط. 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص.161-162.

[2] نفسه، ص.162.

تعليمه الثانوي في الجامع أو في مدرسة ملحقة بالأوقاف، وكان التعليم الثانوي مجانا، والباي هو الذي يسمي المدرس باقتراح من الناظر، ويتلقى المدرس أجرته من الأوقاف، وهي تبلغ بين مائة إلى مائتين من الفرنكات سنويا، وكان يسكن مجانا، ويسود الاعتقاد أن المدرس يقضي وقته يعد الدروس، ولذلك يأتيه الناس بالضروريات كالماء والزيت والمصباح، كما كانوا يأتونه يوميا بحلويات رمضان وملابس العيد والطعام، ومن جهة أخرى كان التلاميذ أيضا يحصلون من الأهالي على الحلوى والزيت للمصباح، وعلى السكن مجانا والماء[1].

وفي المرحلة الثانوية كان يتلقى العلم حوالي 3000 تلميذ في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، وكانت الدروس تشتمل على النحو والتفسير والقرآن، وينال الطالب في النهاية إجازة تشهد له بأنه قد درّس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه، ومتى حصل التلميذ على الإجازة يصبح (طالبا) يستطيع قراءة القرآن في الجامع، ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب[2].

ولم يكن هناك فصل واضح بين التعليم الثانوي والعالي، والأستاذ الذي يدرس في التعليم العالي يسمى (عالما)، أما عدد الطلبة، فكان بين 600إلى 800 في كل إقليم يواصلون تعليمهم العالي، وكان الأساتذة في هذا المستوى يتقاضون أجورهم من الأوقاف أيضا، وكانت الدروس العالية تعطى في الزوايا وأهم الجوامع، ومن أبرز مواد التعليم العالي هي النحو والفقه الذي يشمل العبادات والمعاملات، وكذا التفسير والحديث والحساب والفلك، بالإضافة إلى التاريخ والطب[3].

---

[1] سعد الله، **محاضرات**، ص.163.

[2] نفسه، ص.165.

[3] نفسه، ص.165.

أما عن أهم وسائل التعليم والتدريس في العهد العثماني، فنجد الكتب والمكتبات، حيث كان الأساتذة يلجئون إلى توفير الإملاءات لطلابهم، فنتج عن ذلك عدد من التقاليد والحواشي، هذه الأخيرة كانت جميعها تتحول إلى تآليف في مختلف الفروع، فالتعليم إذن كان باعثا على التأليف[1].

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.1، ص. 338.